بسم الله الرحمن الرحيم

لِنَرتقِ بِمَجَالِسِنَا

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِالأُلْفَةِ وَالاجتِمَاعِ، وَحَثَّنَا عَلَى طَيِّبِ القَوْلِ وَحُسْنِ الاستِمَاعِ، وَنَهَانَا عَنِ الفُحْــشِ وَسَيِّئِ الابتِدَاعِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مَدَنِيًّا بِطَبْعِهِ، اجتِمَاعِيًّا بِفِطْرَتِهِ، وَأَمَرَهُ بِمَا يُقَرِّبُ مِنْ مَثُوبَتِهِ، وَنَهَاهُ عَمَّا يَقُودُ إِلَى عُقُوبَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَطْيَبُ الخَلْقِ مُجَالَسَةً، وَأَرَقُّهُمْ مُلاطَفَةً وَمُؤَانَسَةً، وَأَعبَقُهُمْ رِيحًا وَعِطْرًا، وَأَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا وَذِكْرًا، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَأَتْبَاعِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي – عِبَادَ اللهِ – بِالتَّقْوَى، فَإِنَّهَا السَّعَادَةُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1]، وَاعْلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ الحَيَاةَ الدُّنيَا مَتَاعٌ، وَمَرْحَلَةٌ لِلتَّزَوُّدِ بِالخَيْرِ قَدْرَ المُستَطَاعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[2]، وَإِنَّ مِنْ أَمتَعِ المُتَعِ، وَأَحْسَنِ الهِبَاتِ، المَجَالِسَ الصَّالِحَةَ، وَالرِّفْقَةَ النَّاصِحَةَ، فَهِيَ طِبُّ الأَرْوَاحِ، وَغِذَاءُ العُقُولِ، وَعَوْنٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَرِفْعَةٌ فِي الدَّرَجَةِ، وَالمُتَأَمِّــلُ لِحَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ يَجِدُ أَنَّ سَلْوَتَهُ وَرَاحَةَ قَلْبِهِ – بَعْدَ مُنَاجَاةِ اللهِ تَعَالَى وَالأُنْسِ بِذِكْرِهِ – مُجَالَسَةُ مَنْ يُحِبُّ مِنْ صَحَابَتِهِ الكِرَامِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا – امتِثَالاً لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى لَهُ حِينَ قَالَ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[3]، وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ:

---

(١) سورة الحديد / ٢٨ .

(٢) سورة الإسراء / ٧٠.

(٣) سورة الكهف / ٢٨ .

(ثَلاثَةٌ لا أَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ: رَجُلٌ يَبْدَأُنِي بِالسَّلامِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ لِي فِي المَجلِسِ، وَرَجُلٌ اغبرَّتْ قَدَمَاهُ فِي المَشْيِ إِلَيَّ يُرِيدُ السَّلامَ عَلَيَّ). إِنَّ مُخَالَطَةَ النَّاسِ وَمُجَالَسَتَهُمْ، وَنُصْحَهُمْ وَمُؤَانَسَتَهُمْ، مَطْلَبٌ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ آيَاتُ القُرآنِ العَظِيمِ، وَحَثَّتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ ، فَفِي وَصِيَّةِ لُقْمَانَ لابنِهِ يَقُولُ الحَقُّ تَعَالَى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾(١)، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ ﷺ : ((اَلْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ اَلنَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لا يُخَالِطُ اَلنَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

تَتَعَدَّدُ مَجَالِسُ النَّاسِ وَتَجَمُّعَاتُهَا، وَلِكُلٍّ مِنْهَا خُصُوصِيَّةٌ يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا، فَمَجَالِسُ العِلْمِ يُمَيِّزُهَا إِنْصَاتُ الطَّلَبَةِ إِلَى مُعَلِّمِهِمْ، وَاحتِرَامُ مُؤَدِّبِهِمْ، لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ بِمُدَاخَلَةٍ أَوْ سُؤَالٍ، عِنْدَمَا تَسْمَحُ بِذَلِكَ ضَوَابِطُ المَجلِسِ وَالأَحْوَالُ، وَمَجَالِسُ العِبَادَةِ يُهَيْمِنُ عَلَيْهَا جَوُّ الطَّاعَةِ وَالانقِيَادِ، وَتَرْكِ التَّمَرُّدِ وَالعِنَادِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(٢)، وَأَمَّا المَجَالِسُ الأُسْرِيَّةُ، فَتَسُودُهَا الأَجْوَاءُ العَاطِفِيَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ: ((قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ))، وَعَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟! فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟))، وَمَجَالِسُ العَزَاءِ يَغْلِبُ عَلَيْهَا طَابَعُ المُوَاسَاةِ وَالمُصَابَرَةِ، وَالبُعْدِ عَمَّا يُثِيرُ

(١) سورة لقمان / ١٧ .

(٢) سورة النور / ٥١ .

(٣) سورة الروم /٢١.

شُجُونَ المُصَابِ مِنَ النِّيَاحَةِ وَاللَّطْمِ، فَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ))، وَهَكَذَا يَجِبُ عَلَى المَرْءِ أَنْ يَرْعَى لِكُلِّ مَجْلِسٍ خُصُوصِيَّــتَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاً، وَلِكُلِّ مَجْلِسٍ وَضْعًا وَحَالاً.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

مَعَ مَا لِكُلِّ مَجْلِسٍ مِنْ خُصُوصِيَّةٍ، وَمَا لِمُرَاعَاتِهِ مِنْ أَهَمِّيَّةٍ، إِلاَّ أَنَّ ثَمَّةَ آدَابًا عَامَّةً يَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا فِي جَمِيعِ المَجَالِسِ، وَمِنْ ذَلِكَ اخْتِيَارُ الكَلامِ الطَّيِّبِ، وَالحَدِيثِ الحَسَنِ، وَالبُعْدُ عَنِ الفُحْشِ فِي القَولِ، وَعَنِ الكَذِبِ فِي المُزَاحِ، وَالحَدِيثِ فِي النَّاسِ، ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[1]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]، إِنَّ عِمَارَةَ المَجلِسِ بِذِكْرِ اللهِ، وَاطْمِئْنَانَ الجُلَسَاءِ إِلَى هُدَاهُ، دَلِيلٌ عَلَى الإِيمَانِ، وَآيَةٌ عَلَى رُقِيِّ الإِخْوَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[3]، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَعَلَى المَرْءِ أَلاَّ يَكُونَ هَمُّهُ فِيمَا يُرْضِي جُلَسَاءَهُ فَقَطْ، بَلْ فِيمَا يُرْضِيهِمْ بِرِضَا اللهِ تَعَالَى وَعَلَى غَيْرِ مَعْصِيَتِهِ، فَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ – لا يَرَى بِهَا بَأْسًا – يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا))، وَإِهْدَاءُ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ خَيْرٌ مِنْ إِهْدَاءِ المَالِ، وَكَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ أَخِيكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَالٍ يُعْطِيكَ. وَمِنْ أَدَبِ المَجلِسِ إِنْزَالُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَكْرَمَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ أَتْــقَاهُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَّمَنَا الأَدَبَ، وَجَمَّــلَنَا بِالحَيَاءِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ رَوَائِعِ الآدَابِ،

---

(١) سورة النساء / ١٤٠ .

(٢) سورة الأنعام / ٦٨ .

(٣) سورة الرعد / ٢٨ .

وبَدَائِعِ الأَخْلاق، فَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: جَاءَ شَيْخٌ يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَبْطَأَ القَوْمُ أَنْ يُوَسِّعُوا لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : ((لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ زِينَةِ المَجَالِسِ أَنْ يَهتَمَّ الإِنْسَانُ بِمَظْهَرِهِ، وَيُحَسِّنَ مَلْبَسَهُ، وَيُجَمِّلَ هِنْدَامَهُ، فَذَلِكَ مَعَ أَنَّهُ رِفْعَةٌ فِي المُجَالِسِينَ، هُوَ مَرْضَاةٌ لِرَبِّ العَالَمِينَ؛ فَاللهُ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَجْمَلَ مَظْهَرًا، وَلا أَحْسَنَ لِبَاسًا، وَلا أَزْكَى طِيبًا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا –: ((كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الطِّيبِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُحْرِمٌ))، وَعَنْ أَنَسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: ((مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ وَلا مِسْكًا وَلا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ))، وَكَانَ ابنُ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – إِذَا خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ عَرَفَ جِيرَانُهُ ذَلِكَ بِطِيبِ رِيحِهِ. إِنَّ مُرَاعَاةَ مَشَاعِرِ الجُلَسَاءِ، خُلُقٌ رَفِيعٌ مِنْ خُلُقِ الأَتْقِيَاءِ، وَمِنْ هَذِهِ المُرَاعَاةِ الالتِفَاتُ إِلَى الجَلِيسِ وَإِظْهَارُ الاهتِمَامِ، وَالإِنْصَاتُ إِلَى حَدِيثِهِ عِنْدَ الكَلامِ، وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ بِوَجْهٍ بَشُوشٍ، وَتَرْكُ مَا يُعَكِّرُ المَجلِسَ مِنْ تَشْوِيشٍ، فَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّهُ قَالَ: ((لِجَلِيسِي عَلَيَّ ثَلاثٌ: أَنْ أَرْمِيَهُ بِطَرْفِي إِذَا أَقْبَلَ، وَأَنْ أُوَسِّعَ لَهُ فِي المَجلِسِ إِذَا جَلَسَ، وَأَنْ أُصغِيَ إِلَيْهِ إِذَا تَحَدَّثَ))، فَأَيْنَ عَنْ هَذَا الأَدَبِ الرَّفِيعِ أُولَئِكَ المُشتَغِلُونَ عَنْ جَلِيسِهِمْ بِإِجْرَاءِ المُكَالَمَاتِ، وَالتَّنَقُّلِ عَبْرَ الشَّاشَةِ بَيْنَ القَنَوَاتِ، وَكَأَنَّ جَلِيسَهُمْ نَوْعٌ مِنَ المَوَاتِ؟!، وَمِنْ مُرَاعَاةِ المَشَاعِرِ تَرْكُ المُحْرِجِ مِنَ السُّؤَالِ، كَالتَّعَمُّــقِ فِي أَحْوَالِ الأَهلِ وَالعِيَالِ، أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدَّخْلِ وَالمَالِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ أَغلَبُ النَّاسِ السُّؤَالَ عَنْهُ، وَيَتَبَرَّمُونَ مِنَ المُكْثِرِ مِنْهُ، وَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ مَقْرُونًا بِالنَّهْيِ عَنْ إِضَاعَةِ المَالِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: ((إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَتَعْــتَصِمُوا بِحَبْــلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تَنْصَحُوا لِمَنْ وَلاَّهُ اللهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ)).

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الجُلَسَاءِ حَقًّا الجَلِيسَ الزَّائِرَ، فَإِنَّ حَقَّهُ فِي الإِسْلامِ وَاجِبٌ ظَاهِرٌ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))، إِنَّ إِكْرَامَ الضَّيْفِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاقِ، وَجَمِيلِ الخِصَالِ الَّتِي تَحَلَّى بِهَا الأَنْبِيَاءُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا المُرْسَلُونَ، وَاتَّصَفَ بِهَا الأَجْوَادُ كِرَامُ النُّفُوسِ، وَمِنْ تَمَامِ الضِّيَافَةِ أَنْ تَفْرَحَ بِمَقْدَمِ زَائِرِكَ، وَتُظْهِرَ لَهُ البِشْرَ، وَأَنْ تُلاطِفَهُ بِحُسْنِ الحَدِيثِ، وَتَشْكُرَهُ عَلَى تَفَضُّلِهِ وَمَجِيئِهِ، وَتَقُومَ بِخِدْمَتِهِ، وَتُظْهِرَ لَهُ الغِنَى وَبَشَاشَةَ الوَجْهِ وَالخِدْمَةَ بِالنَّفْسِ؛ فَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ خَدَمَ أَضْيَافَهُ، وَإِذَا كَانَ مَعَكَ أَكْثَرُ مِنْ ضَيْفٍ، فَأَقْبِلْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِوَجْهِكَ، وَلا تَخُصَّ أَحَدًا دُونَ الآخَرِ بِحَدِيثِكَ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ ضِيَافَتِكَ، وَحَاوِلْ أَنْ تَلْتَمِسَ رِضَا كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَكْرَمَ النَّاسِ لِضُيُوفِهِ، وَقَدْ وَصَفَ عَلِيٌّ – كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ– مَجلِسَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: (كَانَ يُعْطِي كُلَّ جُلَسَائِهِ بِنَصِيبِهِ، لا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ)، وَرُوِيَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنَ عَبْدِ العَزِيزِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – رَأَى أَحَدَ ضُيُوفِهِ قَامَ لِلْخِدْمَةِ فِي مَنْزِلِهِ، فَأَبَى ذَلِكَ وَقَامَ مُبَادِرًا عَنْهُ قَائِلاً: (لَيْسَ مِنَ المُرُوءَةِ استِخْدَامُ الضَّيْفِ)، ثُمَّ رَجَعَ وَقَالَ: (قُمْتُ وَأَنَا عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ، وَرَجَعْتُ وَأَنَا عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ).

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَارْعَوا لِمَجَالِسِكُمْ حُقُوقَهَا، وَارتَقُوا بِمُستَوَاهَا؛ حَتَّى تَظْفَرُوا بِجَنَاهَا، وَيَقِيكُمُ اللهُ بَلاهَا.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَ بِإِتْيَانِ الطَّيِّبَاتِ، وَنَهَانَا عَنِ المُوبِقَاتِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَيْرِ الدُّعَاةِ، وَعَلَمِ الهُدَاةِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ التُّقَاةِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

قَدْ كَثُرَتْ مَجَالِسُ النَّاسِ اليَوْمَ، وَكَثُرَتْ لِقَاءَاتُهُمْ وَمُنْتَدَيَاتُهُمْ، وَلَيَالِيهِمْ وَمُسَامَرَاتُهُمْ

وَعلاقَاتُهُمْ، ولِذَا كَانَ لا بُدَّ مِنَ التَّذْكِيرِ بِآدَابِهَا، لِتَعْظُمَ فَوَائِدُهَا، وَيَحْسُنَ نِظَامُهَا، فَمِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الآدَابِ أَنْ يُقَدَّرَ فِيهَا الكَبِيرُ، وَيُعْطَفَ عَلَى الصَّغِيرِ، وَيُوَسَّعَ لِلْفَقِيرِ، وَيُحتَرَمَ العَالِمُ، وَيُقَدَّمَ الأَوْلَى، وَيُنْصَتَ إِلَى الحَدِيثِ، وَيُتَفَنَّنَ فِي الإِيناسِ، وَيُتَوَدَّدَ لِلْجُلاَّسِ. وَمِنَ الأَدَبِ أَلاَّ يَزِجَّ المَرْءُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ مُتَحَابَّيْنِ، أَوْ يَفْصِلَ بَيْنَ مُتَحَدِّثَيْنِ، يَقُولُ ﷺ: ((لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثنَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا))، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الأَدَبِ الجَمِيلِ. إِنَّ القَادِمَ الَّذِي يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ لا يُؤْذِي الجَالِسِينَ، وَالجَالِسُونَ يُوَسِّعُونَ لَهُ وَيُفْسِحُونَ، وَهَذَا أَدَبٌ قُرآنِيٌّ عَظِيمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[1]، وَيَنْبَغِي عَدَمُ الجُلُوسِ فِي مَكَانٍ لا يُحِبُّهُ صَاحِبُ البَيْتِ، فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((لا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ))، وَعَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: ((كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ انتَهَى))، وَيَنْبَغِي لِلْمُسلِمِ مُرَاعَاةُ الهَيئَةِ الَّتِي يَرتَضِيهَا جُلَسَاؤُهُ، فَلَيْسَ مِنَ المُرُوءَةِ أَنْ يَجلِسَ المَرْءُ جِلْسَةً تُشْعِرُ بِعَدَمِ مُبَالاتِهِ بِالآخَرِينَ، كَأَنْ يَضْطَجِعَ وَهُمْ جُلُوسٌ إِلاَّ لِعُذْرٍ، أَوْ أَنْ يَضَعَ رِجلَهُ فِي مُوَاجَهَتِهِمْ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَمِنَ الأَدَبِ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((لا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ)).

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَخُذُوا بِهَذِهِ الآدَابِ وَالمَكْرُمَاتِ، وَاجتَنِبُوا فِي مَجَالِسِكُمُ الفُحْشَ وَالمُنْكَرَاتِ؛ تَظْفَرُوا بِالأَجْرِ وَالحَسَنَاتِ، وَتَرتَقُوا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [2].

---

(١) سورة المجادلة / ١١ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.